المرأة في كتابي (أخبار الأذكياء) و (أخبار الحمقى والمغفلين) لابن الجوزي
دراسة في ضوء الأنساق الاجتماعية

آلاء عوده حسين

oudahalaa@gmail.com

أ.م.د. بشرى ياسين محمد

Bushra.yaseen@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية ، جامعة بغداد

الملخص

لطالما كانت المرأة القضية التي ينادي بها ويطالب بحقوقها ومكانتها، من كان يدعي المثالية، أو يريد أن يتصف بالمثالية أمام هذا المجتمع الذكوري الذي دمر قيمتها وحرمها حقوقها، وبرغم كل ذلك كان للمرأة حضور واضح في النصوص الأدبية شعراً ونثراً والحديث عن المرأة كمكون اجتماعي في مجتمعنا العربي يؤدي بطبيعة الحال إلى الحديث عن أمور متعلقة بها، وهذه الأمور مأخوذة من منظومة القواعد الاجتماعية والثقافية. فالمرأة هي المرأة منذ العصر الجاهلي إلى الآن وقضيتها هي القضية منذ الجاهلية أيضاً إلى الآن، وكانت تفاصيل وجودها ومكانتها داخل العصر الواحد تختلف من مكانٍ إلى أخر، وربما كانت هذه القضية مسألة فردية بين التطبيق الفعلي والتطبيق المفترض، فما زالت الذكورية تقف على أبواب المعبد الذي اقامته لنفسها، مما جعل المرأة تقطع شوطاً طويلاً ومرهقاً عبر التاريخ لإثبات حقوقها امام المجتمع الذكوري الذي حاول السيطرة على حياة البشر لعدة قرون.

الكلمات المفتاحية : المراة ، النسق ، النسق الاجتماعي.

The Woman in the Books (Akhbar Al-Adhki'a) and (Akhbar Al-Adhki'a and Foolish People) by Ibn Al-Jawzi

A study in light of social patterns

Alaa Oudah Hussain
oudahalaa@gmail.com
Asst.Prof.Dr.Bushraa Yassin Muhammad
Bushra.yaseen@ircoedu.uobaghdad.edu.iq
College of Education/Ibn Rushd for Human Sciences – University of Baghdad

Abstract
Women have always been the issue that is advocated for and demands their rights and status, whoever claims idealism, or wants to be characterized by idealism in the face of this male society that destroyed her value and deprived her of her rights. Despite all that, women had a clear presence in literary texts, poetry and prose, and talk about women as a social component in our society. Arabic language naturally leads to talking about matters related to it, and these matters are taken from the system of social and cultural rules. A woman has been a woman since the pre-Islamic era until now, and her issue has been the issue since the pre-Islamic era as well until now. The details of her existence and status within one era differed from one place to another, and perhaps this issue was an individual issue between the actual application and the supposed application. Masculinity still stands at the gates of the temple in which She established it for herself, which made women go a long and exhausting way throughout history to prove their rights before the male society that tried to control human lives for centuries.

Keywords: women, system, social system

المقدمة

لقد كان هناك إجماع عالمي يجمع كل ثقافات العالم معاً في فكرة متجذرة في تلك المجتمعات، وهي فكرة أن النساء مهمشات واعتبارهن أعراقاً أدنى منذ العصور القديمة على الرغم من أنها شكلت النصف الآخر من المجتمع، لكن مازال ينظر إليها نظرة قاصرة على أنها كائن ضعيف وأدنى منزلة من الرجل، فهي تمثل الدرجة الثانية بعد الرجل في المجتمع الذي سعى إلى تهميشها وبخس حقوقها. فمنذ بداية الخليقة والمجتمع الثقافي متمسك بتصور ناقص يعتقد في هذا التصور أنها السبب في طرد آدم من الجنة فالكثيرمن المجتمعات ما زالت تعامل المرأة على أنها شيء ثانوي وهي ملك للرجل يحركهاكيفما يريد وكيفما شاء.

وواحدة من الصور الثقافية الي تعكس الصورة التعسفية والنظرة الدونية للمرآة هي كيف كانت تعامل في العصر الجاهلي حيث كانوا ينظرون إلى المرأة على أنها متاع من الأمتعة التي يمتلكونها مثل الأموال والبهائم حتى أنهم حرموها من الميراث وكان العرب يقولون: لايرثنا إلا من يحمل سيفنا وقد كانت المرأة مصدر عار عند العرب، منذ طفولتها فقد مارس الاباء أبشع طريقة في قتل بناتهم وهن رضيعات والدليل ما جاء في قوله تعالى:﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (سورة النحل / الآية 58-59.)، لذلك كان يُنظر إلى المرأة على أنها جسد بالنسبة للطرف الآخر، وهي طعام شهي يجب تذوقه ، وأداة يجب أن يمتلكها الآخر وهي مجبرة للأنصياع لأوامره (الاعرج ، 2014 :425) (Al-Araj, 2014: 425) إلى أن نصل عصر صدر الاسلام الذي أنصف المرأة ونظر لها نظرة تتفق مع حقائق الفطرة لطبيعة المرأة نظرة تكريم واعتزاز، وأولاها اهتماماً كبيراً وجعلها شريكة الرجل في تحمّل مسؤوليات الحياة.

مشكلة البحث:

إن الممارسة الثقافية عملية مستمرة، دائمة التحول كونها تسعى إلى استثمار وتطويع الحرفة – باعتبارهما نسقاً يتسلسل إلى الفعل الإبداعي، فالثقافة تخص مجموعة ما، أو طبقة أو عرف ولكنها مع ذلك ليست عبارة عن قطاعات معزولة منفصلة بحد ذاتها، إنما هي تتقاطع، وتتفاعل فيما بينها، مما يدعو الممارسة اللغوية المعرفية إلى تكوين ضلاً؟؟؟؟ مضاداً في بعض الأحيان ومن هنا ينشأ التكوين الثقافي الذي يعيد مواجهة ثقافية حضارية، فهدف الدرس الثقافي ليس النص بعينه إنما الهدف الكشف عن الأنظمة في فعلها الاجتماعي ومن هنا يأتي مفهوم النسق ونعني النسق الطريقة التي يتم فيها الاستقبال .

أهمية البحث:

تنطلق هذه القراءة معتمدة على فكرة النسق الثقافي الذي يعد بدوره أهم آلية من آليات النقد الثقافي؛ وهو ما يعين أنه القراءة تأخذ منهجياً أداة من أدوات النقد الثقافي، والانطلاق عبر مدخل منهجي إلى البحث في واحدة من أهم المكدونات في التراث العربي والإنساني، وهما كتابي (أخبار الأذكياء) و (وأخبار الحمقى

والمغفلين) والدخول معهما في قراءة تتجاوز حد البحث عن العناصر الجمالية والفنية للبحث عن الأنساق الثقافية المتجذرة فيه .

هدف البحث:

يهدف البحث التعرف على تمثلات الأنساق الثقافية في كتاب (أخبار الأذكياء) و (أخبار الحمقى والمغفلين) التي تكشف ما كان مستوراً في عصر ابن الجوزي وتحديداً في القرن السادس الهجري.

المرأة في العصر العباسي

أما العصر العباسي الذي يمثل عصر التقدم بكل شيء بالعلوم والثقافة والأدب، وهو مدار عملنا لكونه يمثل العصر الذي ينتمي إليه مؤلفنا، فقد اعطى هذا العصر قيمة للمرآة ومكانة ((لكنها تختلف من قيمة حقيقة إلى قيمة اجتماعية، فلا يخفى على أحد دور النساء حرائر وإيماء في التأثير على السياسة في ذلك الحين، أو الضلوع في قتل الملوك أيضاً وهذا ما يكسبها مكانة معنوية)) (نذيرة، 2023: 1035) (Nazira, 2023: p. 1035) وعلى الرغم من التطور الحضاري والعمراني والثقافي الذي شهده العصر العباسي، فإنّ أدوار المرأة اختلفت باختلاف طبقات معيشتهم، فقد كانت المرأة هي المرأة المترفة، والمرأة من الطبقة الوسطى، وهي التي شاركت الرجل في كسب لقمة العيش، المرأة الممتهنة، وتضم: الإماء والجواري، وكان رجال ذلك العصر يفضلون((الجواري على الحرائر حتى إنّه كان يقال:من أراد المؤونة وخفة النفقة، وحسن الخدمة، وارتفاع الحشمة فعليه بالإماءدون الحرائر)) (العزايزة،2004م:21) (Al-Azayza, 2004, p. 21)، وهذا التفضيل إن دلّ على شيء فإنه يدلّ على نظرة المجتمع للمرأة في تلبية احتياجاته النفسية، وهي لا تخلو من كونها نظرة دونية، وقد كان في العصر العباسي الثاني والعصور المتأخرة دورها ضعيف ؛لظهور سلطة النساء من الأصول غير العربية وتدخلهن في شؤون الحكم والإدارة (عبد الباقي، 2018م: 656) (Abdel Baqi, 2018, p. 656).

وعلى الرغم من كل التوصيات التي خطتها الشريعة الإسلامية وكل خطب الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي يدعو فيها الرفق بالمرأة لم يلتزم المجتمع الثقافي الذكوري بهذه التوصيات والدعوات فظل المجتمع متسيد على المرأة يعاملها بدونية ويسعى أن يجعلها بالدرجة الأدنى على الرغم من دعوة المساواة بينهما في جميع الحقوق والواجبات، لكن سيطرة الأنساق الثقافية وهيمنتها على عقلية الرجال جعلتهم يغضون البصر عن كل تلك الحقوق.((فراح الرجل يرسم المرأة وينقشها في صورة خيالية تواترت عليها الازمنة حتى ترسخت وكأنما هي الشيء الطبيعي ، وفي هذه الصور جرى تضخيم الجانب الحسي في المرأة إلى أن تحولت إلى مجرد جسد شبقي ليس له من وظيفة سوى اثارة الرجل واغرائه)) (العزايزة، 2004م: 29) (Al-Azayza, 2004, p. 29) لايزال ينظر إلى المرأة على أنها أدنى من الرجل، وكأنه يرفض المساواة ، لذلك يجب أن يراها أقل منه في سلم المجتمع الثقافي المتشبع بفكرة سيطرة الذكورة على المرأة ، فجعل من المرأة وسيلة يصل من خلالها إلى غايته فأخضعها له ، ويريد أن

يسيطر ويتحكم بها كيفما يريد وانى شاء. فقد حاول ((النقد الثقافي والدراسات الثقافية هي الكاشف الاهم لهذه العيوب النسقية التي أصابت بنيتنا الثقافية))(الخليل ، د. ت: 65) (Al-Khalil, D. T., p. 65).
يحاول النقد الثقافي رصد مرتكزات التغيرات الفكرية والثقافية والسياسية لحركية المجتمع واستجلاء أثر الإبداع النثري الفعال كونه أحد تلك المرتكزات المؤثرة في المجتمع (لازم، 2012: 280) (lazim, 2012: 180). فالنسق الثقافي الاجتماعي يعنى به ما يخص المجتمع من أمور ثقافية (خضير، 2018: 14) (Khadir, 2018: 14).

ومما يورده ابن الجوزي في كتاب(أخبار الأذكياء) من المنقول عن ((**إبراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام، أَنبأَنا محمدُ بنُ عبد الملم ، قال:أَخبرنا أَحمد بن علي بن ثابت ، قال أَخبرنا أَبو الحسين بن رزْقَوَيْه ، قال :أَخبرنا عثمانُ بن أَحمد الدَّقَّاق ، قال :أَخبرنا الحسنُ بن عليّ القَطّان، قال: أَخبرنا إسماعيل بن عيسى ، قال أَخبرنا أَبو حذيفة إسحاق بن بشر ، عن جويبر عن الضَّححَّاك، عن ابن عَبَّاس قال :لما رأَتْ سَارةُ إبراهيمَ قد شُغِفَ بأُم إسماعيل غارت غيرةً شديدة، وحلفت لتقطعنَّ عُضواً من أَعضاء هاجر، فبلغ ذلك هَاجر، فلبستْ دِرعاً وجرّت ذيلها ، فهي أَول نساء العالمين جرّت الذّيل ، وإنما فعلت ذلك لتُعَفّي أثرهَا في الطريق على سَارة ، فقال إبراهيم :هل لك في خير؟ أن تعْفي عنها وتَرْضي بقضاءِ الله عزَّ وجلّ ، قالت وكيف لي بما قد حَلَفْتُ؟ قال: اخْفضِيها فتكونُ سُنّةَ النساء، وتَبرُّ يمينُك، قالت: أَفْعل ؛فخفضتَها، فمضت السُّنَّة للنّساءِ بالخفض منها**)) (الأرناؤوط ، 1971م: 190) (**Al-Arnaout, 1971, p. 190**).

شكلت القصة التي أوردها ابن الجوزي نسقاً ثقافياً، فالنص يحمل نسقين يتمثل الظاهر في غاية ابن الجوزي في إيراد القصص واعتمادها كأسلوب من الأساليب في تعليم الناس ولعله كان حريصاً في أتباع هذا الأسلوب. واستخدام الأمثلة ومن خلال الاطلاع على كتبه المختلفة نستطيع التوصل إلى أنه أستخدم أسلوب التعليم بالقصة وأسلوب الوعظ الاجتماعي والوعظ الديني والاخلاقي ففي كتاب الأذكياء يبدأ بالحديث عن العقل والذكاء ثم يعود إلى الإعتماد على القصص المنقولة لإعطاء الأمثلة على قوة الفطنة والذكاء عند أصحاب تلك القصص، فقد أعجب ابن الجوزي بفطنة النبي وقدرته على التعامل مع موقف حرج قد يتأذى به أحد الأطراف، وعن طريق إيراد قصة ذكاء النبي حقق ابن الجوزي غايته التي يسعى إليها وأنشدها في مقدمة الكتاب والتي تنص على:((معرفة أقدارهم بذكر أحوالهم وتلقيح ألباب السامعين فسماع أخبارهم تقوم مقام أخبارهم))(القريشي ، 2003: 29) (Al-Qurayshi, 2003, p. 29) على اعتبار ذكر قصص الأنبياء تمثل ضرباً من ضروب الأدب يصغي إليها السمع، وترسخ عبره في النفوس، كما جاء في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾(سورة يوسف/ الآية 111) (Surat Yusuf, Verse11) أما النسق المضمر الذي يحمله النص ولم يلتفت إليه ابن الجوزي هو غيرة المرأة.ولم يلتفت ابن الجوزي إلى مسألة الغيرة وذلك لأن الثقافة نفت عن المرأة مسألة الغيرة، وكأنها بذلك تنفي عنها مسألة الإحساس بالفردية والاستقلال. فالثقافة تطلب من المرأة الصبرفي المواقف التي

يصاحبها الشعوربالغيرة لأن الشرع أحل للرجل أربع نساء وما ملكت يمينه من الجواري. وبوصف المرأة شيئاً من ضمن الأشياء التي يمتلكها الرجل لاقيمة لها في حد ذاتها، أنما تكمن قيمتها فيما تؤديه من وظائف فقد عدت الجماعة أن الغيرة هي ((منع الحريم، وحماية الحوزة، لأجل حفظ النسل والنسب)) (قرامي ، 2007: 263) (Qarami, 2007, p. 263) أي أنها ملك من أملاك الرجل ووسيلة لاستمرار النسل، ويجب المحافظة عليها لأقترانها بقضية الشرف والنسب. وهنا يمكن أن نفهم إن الأخبار التي وردت أوصت بمراقبة المرأة لأن غيرتها ترتبط بالحيلة والمكر أما الغيرة عند الرجل فقد تم أعلاء قيمتها على أساس إنها مما ترتبط بالفحولة والشرف وصيانة العرض.ولا نكتفي بهذا النص فقط بل أورد ابن الجوزي عدداً من النصوص التي تخفي في بواطنها أنساق مضمرة تتعامل مع موضوع غيرة المرأة.

ومما يورده ابن الجوزي((أخبرنا ابن ناصر، عن القاسم بن محمد، عن عائشة(رضي الله عنها) قالت:كان النبي(صلى الله عليه وعلى آله وسلم))إذا خرج في سفر، أَقْرَعَ بين نسائه فصارت القُرْعَةُ على عائشة وحفصة ، فخرجنا معه جميعاً ، فكان النبّي (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) إِذا سار باللَّيل سارمع عائشَة يتحدّث معها، فقالت حفصة لعائشة:أَلا تركبين بعيري وأَركب بعيرك فَتَنْظرين وأَنْظُرُ ؟قالت: بلى،فركبت عائشةُ على بعير حفصة وركبت حفصةُ على بعير عائشة ، فجاء رسولُ الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إِلى جمل عائشة وعليه حفصة فَسَلَّم، ثم سار معها حتَّى نزلوا، ففقدت عائشة النبي(صلى الله عليه وعلى آله وسلم)فغارت، فلما نزلت، جعلت تدخل رجليها بين الإِذْخِرِ أي الحشيش الأخضر وتقولُ: يا ربِّ سَلِّط عَلَيَّ عقرباً يلْدَغُني، رَسُولُك، لاأَستطيع أَن أَقول شيئاً)) (القريشي، 2003:ص 270) (Al-Qurayshi, 2003, p. 270) وفي نفس الأطار حقق ابن الجوزي غايته المنشودة التي تتمثل في تعليم الناشئة عن طريق أسلوب سرد القصص هذا ما يتضح لنا من خلال النسق الظاهر تحقيق الغاية المرجوة ولأن ابن الجوزي يرى إن القصة أداة سهلة الفهم تحظى بالقبول من العامة والخاصة على السواء، وما من شك هنا إن إقبال الناس على القصص النبوي وتعلقهم بأحداثها يعمق المضامين في نفوسهم ويمكّنهم من الاستيعاب الجيد والتأثر بالأحداث واستخراج العبر والعظات، فضلاً عن إستنباط الأحكام الشرعية والقيم النبيلة من السنة النبوية والتي لاتختلف لدى الأنسان عبر الزمان والمكان (الفقيه القاضي أبي الحسن ، د. ت:ص41) (The jurist, Judge Abi Al-Hassan, D. T., p. 41) هذا ما يمثله النسق الظاهر الذي يحمله النص أما النسق المضمر فيتمثل في بيان غيرة المرأة، وتفريق الثقافة بين الرجل والمرأة حتى بالأحساس الذي يكون خارج إرادة الأنسان فالمجتمع الثقافي يرى أن غيرة الرجل أهم وسيلة من وسائل فرض سيادته وسيطرته على أهله وضبطها بدافع حمايتها من نفسها .وعلى الرغم من وعي العلماء بأن الغيرة صفة مشتركة إلا أنهم أنحازوا للرجال وعدو الغيرة صفة محمودة لاتعاب بل يمدح ويثنى عليها لأنها تتلاءم مع خصائص الذكورة التي ينبغي أن تبرز للعيان وهي علامة على قدرته على صون ممتلكاته، في حين عدت الغيرة صفة مذمومة في المرأة فأنها في كثير من الأحيان متكلفة ومتصنعة، تصطنعها المرأة لاحباً في أمتلاك الزوج بل لنيل الحظوة عنده والانتصار على الضرائر أو اللاتي ينازعنها فيه. فغيرة الرجل في

معيار الثقافة هي وسيلة هيمنة وسيطرة وأداة للعقاب، كما أنها متأصلة بالفطرة أي أصيلة، في حين أن غيرة المرأة متكلفة ومن هذا القول نفت الثقافة إحساس المرأة بالغيرة والألم أمام تعدد الزوجات، وقدمت تبريرات متعددة لمسألة التعدد في الزوجات تنم في عمقها عن نسق ذكوري فحولي(القرامي ،2007 :ص 599- 600) (Al-Qarami, 2007, pp. 599-600)، ((فكيف تغار وهي التي ليس في وسع تمتلك الرجل عرفاً وشرعاً(القرامي ، 2007:ص 599ــ 603) (Al-Qarami, 2007, pp. 603)، وكيف لها ان تغار على زوج جعل الرب والشرع أن تكون في حوزته مثنى وثلاث ورباع وما ملكت إيمانه، والحل الذي ارتضاه المجتمع للمرأة التي اكتوت بنار الغيرة هو الصبر.

ومما رواه ابن الجوزي عن((عبد الأول ، عن هشام بن عروة ، عن أُبيه ، عن عائشة ، قالت : قلت : يا رسول الله أَرأَيت لو نزلت وَادياً فيه شجرٌ أُكِل منها، ووجدت شجراً لم يؤكل منها في أَيّها كنتَ تُرتع بعيرك ؟ قال: ((في التي لم يُرتع منها)) تعني أَنَ النبَّي (صلى الله عليه وآله وسلم لم يتزوج بكراً غيرها)) (قرامي ، 2007:ص 270) (Al-Qarami, 2007, pp. 207).

اورد ابن الجوزي هذا النص في الباب الحادي والثلاثون الذي يحمل عنوان في ذكر طرف من أخبار النساء المتفطنات ، حيث أفتتح الباب بذكر حديث ورد عن أحدى زوجات الرسول كما أعتدنا أن يفتتح ابن الجوزي ابوابه بالشخصيات المعروفة ولاسيما الأنبياء والأوصياء وكل من يخصهم حتى تكون هذه الشخصيات مثالاً يحتذى به ، وكما يبدو أمامنا أن هذا النص يحمل في سياقه نسقين أحدهما ظاهر يتمثل في أعجاب ابن الجوزي بذكاء السيدة عائشة وفطنتها التي أستطاعت أن تجعل من الطبيعة مثالاً ينطبق عليها حيث شبهت النساء بالشجر فسؤالها وأجابة الرسول تأكيد على فخرها بهذه الخصلة التي تميزها عن غيرها من نساء الرسول أي أن الرسول لم يتزوج بكراً غيرها، أما النسق الآخر يتمثل في تفضيل المرأة البكر على الثيب المرأة المطلقة والأرملة وعلى الرغم من الطلاق شرعاً هو حل رابطة الزواج لاستحالة المعاشرة بالمعروف بين الطرفين، وعلى الرغم من أن الشريعة الإسلامية أباحت الطلاق بشروط مناسبة مع الإحسان دائماً للطرف الأضعف والأكثر خسارة في هذه المعادلة وهي المرأة إلا أن المجتمع لا يرحم ويحكم على المطلقة بالإدانة طول حياتها دون النظر في صحة موقفها في الطلاق من عدمه ولهذا الموضوع بعد وأثر نفسي أكثر مما هو اجتماعي فهي بعد الطلاق تنطوي على ذاتها برغم أنها في أمس الحاجة للتعافي من آثار العلاقة القديمة. والسبب في هذه الأدانة والتفضيل يعود إلى التنشئة الاجتماعية، ف التنشئة الاجتماعية للذكر قائمة على تثمين القوة والفحولة ، فإنّ حرص المجتمع على أن يتزوج الرجل البكر يجد ما يسوغه. كما أنه يرمز إلى رغبة الذكر في إبراز مدى قدرته على إخضاع جسد ينطوي على قوة سحرية عجيبة وغيبية (قرامي، 2007:ص **257**) (Al-Qarami, 2007, p. 257).

وفي الأطار نفسه يذكر ابن الجوزي ((عُرض على رجل جاريتان بكر وثيّب ، فمال إلى البكر ، فقالت الثيب : لمَ رغبتَ فيها وما بيني وبينها إلاَّ يومٌ ؟ فقالت البكر: (وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون

) 22 سورة الحج / الآية /47 فأعجبتاه فاشتراهما)) (قرامي، 2007:ص 29) (Al-Qarami, 2007, p. 29).

وفي نفس الباب اورد ابن الجوزي نص أخر يحاول أثبات قضية ميل الناس إلى الباكروتفضيلها على الثيب التي تتحمل وزر وفاة زوجها حيث تعاني رؤية مجتمعية متعسفة ليس من قبل الرجال فقط بل تفاقم الموضوع ووصل إلى حد أن أبنة جنسها هي من تحتقرها فالمتأمل لهذا النص يجد أن الفتاة الباكر قد قدمت نفسها وكأنها أفضل من الثيب وهذا نوع من الأنساق الثقافية الشائعة الذي ينظر إلى المرأة الثيب نظرة بعين الشفقة فقد بقيت صورة المرأة التي فقدت عذريتها وأصبحت ثيب مترسخة في دماغ الرجل لايستطيع تخيل هذه القضية على الإطلاق وكانت هذه القضية من القضايا السائدة في المجتمعات العربية خاصة ولكي نخرج بحل منطقي وواقعي لهذه القضية المجتمعية علينا أن نستلهم من الدين الإسلامي أساساً في التعامل مع هكذا حالة بالتحديد فلقد تزوج الرسول صلى الله عليه وآاله وسلم من مطلقتين، كما تزوج من مات عنها زوجها ولم ير في ذلك حرجاً والوحيدة التي تزوجها في كامل عذريتها هي السيدة عائشة.

ووما يورده ابن الجوزي (قرامي ، 2007:ص 271) (Al-Qarami, 2007, p271) ((قال الزبير: وحدّثني إبراهيم الحزامي عن محمد بن مَعْن الغِفَاري، قال: أَتَتْ امرأَةُ عمرَبن الخطاب رضي الله عنه ، فقالت :يا أَمير المؤمنين إِنَّ زوجي يقومُ اللَّيل، ويصومُ النهار، وأَنا أَكره أَن أَشكوَهُ وهو يعملُ بطاعة الله؛ فقال لها :نِعْمَ الزوج زوجك؛فجعلت تكرّر عليه القولَ وهو يكرّر عليها الجواب ؛فقال له كعبُ الأَسدي: يا أَمير المؤمنين هذه امرأَةٌ تشكو زوجها في مباعدته إِياها عن فراشه :فقال له عمر :كما فهمت كلامها فاقضِ بينهما، فقال كعب:عليّ بزوجها؛فأَتِي به ، فقال له: إِن امرأَتك هذه تشكوك ؛قال أَفي طعام أَو شراب؟قال: لا، فقالت المرأَة:

يَا أَيُّهَا القاضِي الحَكِيم رُشْدُهْ أَلْهَى خَلِيلي عَنْ فِرَاشي مَسْجِدُه
زَهَّدَهُ في مَضْجَعِي تَعَبُّدُهْ نَهَارُهُ ولَيْلُه ما يَرْقُدُهْ
وَلَسْتُ في حُكْمِ النّساء أَحْمَدُه

(بحر الرجز)

قال زوجُها:

زهدْتُ في فِرَاشِها وَفي الحَجَلْ إِنّي امرؤٌ أَذْهَلَنِي مَا قَدْ نَزَلْ
في سُورَةِ النَّمْلِ وفي السّبْعِ الطُّوَلْ وفي كِتابِ اللهِ تَخْوِيفٌ جَلَلْ

(بحر الرجز)

فقال كعب :

إِنَّ لَهَا حقّاً عَلَيْكَ يَا رجُلْ نَصِيبُها في أَرْبعٍ لِمَنْ عَقَلْ
فأَعْطِها ذَاكَ وَدَعْ عَنْكَ العِلَل

(بحر الرجز)

ثم قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد أَحلّ من النساءِ مَثْنَى وثُلاَثَ ورُبَاعْ ، فلك ثلاثةُ أَيّام ولياليهن تعبد فِيهنّ ربّك ، ولها يومٌ وليلة .فقال عمر: والله ما أَدري من أَيّ أَمريْك أَعجب أَمن فهمك أَمرهما ؛ أَم من حكمك بينهما اذهب فقد ولّيتُك قضاءَ البَصْرة)) (القريشي ، 2003:ص 271) (Al-Qurayshi, 2003, p. 271).

لقد تحدث العرب عن الجنس ومفاهيم الفحولة ، غير أنهم لم يروا في غريزة الرجل عيباً وقد عمدت على أيراد خبر قام أساساً على ثنائية (الرجل/ المرأة) حتى أبين وجه الأختلاف في نظرة المجتمع الثقافي الذي رأى أن الفحولة هي من سمات الرجولة، ومن هنا أباح الله للرجل تعدد الزوجات كما أباح له التسري بما ملكت يمينه.((وغالباً ما يتحدث المرء عن الفعل المباح والقوة الذكرية باعتبارهما هبة طبيعية وميزة لاتعوض. ولكن عندما يكون الحديث عن الأنثى فهم يتكلمون عن تقديس الأمومة والحب الطاهر والعفة والكرامة وقدسية العلاقات الجنسية من جهة، وعن مكر الأنثى وإلغائها باعتبارها شيطاناً أو أفعى لعوباً، وعن غوايتها للرجال وإيقاعهم بشباكها المحكمة)) (الحيدري، 2003: ص275) (Al-Haidari, 2003, p. 275) وغالباً ما يستند تبرير القوة الجنسية الذكورية إلى المراجع الدينية التي تشهد على هذا التميز بين الرجال والشرف الذي يمنحه الله لهم .غير أن هذا التبرير يختفي تماماً إذا ما جاء الحديث إلى رغبة المرأة ومتعتها، وعندها لا تلتفت الثقافة إلى مسألة متعة المرأة بوجه عام، ولعل ذلك يرجع إلى أن الثقافة لاترى في المرأة كائناً مستقلاً بقدر ما ترى فيها كائناً خلق لإشباع رغبات الرجل فقط. غير أنا يمكن أن نلمح نوعاً من التناقض هنا فالثقافة، ترفض قوة الغريزة عند المرأة بل إنها تخاف منها ، ولذلك تطالب بحجبها وإقصائها عن الفضاء العام من جهة وإلزامها بالتستر من جهة أخرى (الخواجا، د.ت:ص 532) (Al-Khawaja, D. T., p. 532) وهذا ما أكده ابن الجوزي عندما قال ((أن أكثر العلاج في إصلاح المرأة منعها من محادثة جنسها ومن خروجها من بيتها واطلاعها من ذروته وأن تكون عنده عجوز تؤدبها وتلقنها تعظيم الزوج وتعرفها حقوقه ...)) (بن الجوزي، 1986 :ص 62) (Ibn Al-Jawzi 1986 AD, p. 62)، أي جعل المرأة مطيعة جداً تعرف حقوق الرجل ولا تعرف حقوق المرأة المفروض على الرجل اتباعها، وقد يرتبط هذا الخوف والتردد والرفض بمسألة أخرى هي اقتناع المجتمع الثقافي (الذكوري) بنقصان عقل المرأة وهذه النظرة وجدناها عند ابن الجوزي مما تقدم لاحظت الباحثة بأن ابن الجوزي نظر نظرة دونية للمرأة حيث عدها ناقصة عقل، وبحاجة لمن يكون وكيلاً عليها معلماً لها في منزلها وهذا ما اتضح في مؤلفات ابن الجوزي ولاسيما الطب الروحاني فالمجتمع الذكوري اقتنع بفكرة نقصان عقل المرأة ويجد أنها تتبع غريزتها التي تتحكم فيها والتي تقودها إلى الغدر والخيانة.

المرأة في هذه الأخبار كائن لايستطيع التحكم في رغباته ، وبرغم ذلك فإن عليها أن تستجيب لرغبات الرجل لا لرغبتها، وإذا أراد الرجل السيطرة عليها فأنه يدخل إليها من هذا الباب وقد تحدث الخبر السابق بلسان المرأة بينما هو يكشف عن نسق خفي يعبر عن وجهة نظر المجتمع الثقافي الذكوري في أن المرأة مخلوقة للمتعة والجنس وإذا كانت المرأة كائناً ناقص العقل ، لايستطيع التفكير وحده ولايمكنه العيش

باعتباره كائناً مستقلاً فإن الحاجة إلى رجل مهيمن مسيطر تغدو مسألة بديهية لاتحتاج إلى تبرير.ومن هنا وجبت مراقبتها لكمح جماح شهواتها ووجب حبسها في البيت ومنعها من الخروج ومن التواصل مع العالم الخارجي .ويجب أن يكون شغلها الشاغل هي مسؤوليات البيت ورعاية الزوج والأهتمام بالأطفال لأنها لو خلا بالها فإنها ستعشق أي طارق لبابها ويرتبط هذا التصور بفكرة الغدر التي تتأصل في طبيعة المرأة (الأنساق الثقافية في كتاب أخبار النساءوصورة المرأة: 532) (Cultural Patterns in the Book of News of Women and the Image of Women, p.532). صورة أخرى رصدنا ها في كتاب أخبار الأذكياء متخفية عبر نصوص بلاغية ساقها ابن الجوزي لبيان قدرة وذكاء المرأة لكنها ف الحقيقة قد أخفت تحتها أنساق ثقافية عابت المرأة وهمشتها.

ولابد من الأشارة أن الجمال يتخذ مكانة وقيمة عليا عند الحديث عنه في المجتمعات القديمة ، لكن الناظر في الأخبار التي وردت في الكتب يرى أن جمال الوجه والجسد يتقدم على ماعداه وإذا كان الرجل يعد جسده كائناً حراً مستقلاً فإن الثقافة أخضعت الجسد الأنثوي لكثير من التنميط والقيود والحدود ، والناظر في كثير من كتب التراث يرى أن الكتابة عن جسد المرأة كتابة وصفية ترسم حدود المسموح به والممنوع حتى يغدو الجسد خاضعاً لمنظومة قيمية محددة ــ أي أنه جسداً منضبطاً(https://alantologia.com) ويمكن لهذه المقولة أن تشي بالكثير من الصحة عند تفكيك الأخبار الواردة عن النساء والنظر في الأنساق الثقافية الكامنة خلفها. وقد ساد الاعتقاد بأنه بالجمال وحده تحتل المرأة موقعاً في سلم النظام الاجتماعي ف الأمر بالحسن منوط بهن ، فمهما كانت المرأة أحسن كان أعظم لشأنها وأعز لمكانها(القلقشندي، د.ت:ص 11) (Al-Qalqashandi, D.T., p. 11) ولا ننسى القول أنه مهما اختلفت النظرة إلى الحسن والجمال من شخص إلى شخص أخر وفي داخل المجتمع الواحد، فإنّ المجتمع سيكون ميالاً إلى المرأة الجميلة ، التي تستهوي القلوب وتحقق اللذّة، أذن الثقافة لم تكن معنية بالتعرض إلى النساء القبيحات الدميمات أما من ركز على هذه الصفات ولاسيما القبح وغيرها من الصفات على المرأة التي تخرج عن العرف السائد وعن طاعة الرجل ومسايرته فيقوم بذكر عيوبها الخلقية أو الشكلية.

ومما أورده ابن الجوزي أخبرنا محمد بن ناصر، عن عبد الله بن مصعب ، قال ((:قال عمُر بن الخطاب لاتزيدوا في مُهور النساء على أَربعين أَوقية ، وإِن كانت بنتَ ذي الغُصَّة ــ يعني يزيد بن الحصين الصحابي الحارثي. فمن زاد ألقيتُ الزيادة في بيت المال. فقالت امرأَةٌ من صفّ النساء طويلةٌ ، في أَنفها فَطَس: ما ذاك لك قال:ولمَ ؟ قالت لأَنَّ الله عزَّ وجلّ قال ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا سورة النساء/ الآية :20 قال عمر : امرأة أَصابتْ ورجلٌ أَخطأَ)) (القريشي ، 2003: ص270 ــ 271)271-270 (Al-Qurayshi, 2003, pp.).

نص أخر يورده ابن الجوزي يحاول فيه رصد فطنة أحدى النساء التي تحاول ان تبين قدرتها وذكائها من أجل بيان حكم يخص حصول المرأة على حقوقها بشكل كامل وهذا لايعني أن الخليفة عمر لا يفقه في هذه الأمور التي تتعلق بالفقه لأننا في أثناء بحثنا عن صحة هذا الحديث يقال أنه حديث موضوع لكن

الأهم ما أراد أن يثبته أبن الجوزي من ذكاء المرأة فقد كشف النسق الظاهرلنا أن النساء في القرن السادس الهجري قد كان لهن نصيب من التعليم وإلا كيف تتحدث امرأة وتحاور الخليفة في أمر يخص الفقه ولديها علم كافي عن مختلف العلوم ولاسيما الفقه الا اذا كانت متعلمة هذا ما فسره النسق الظاهروحاول أيصاله ابن الجوزي من خلال النص، أما النسق المضمر فقد كان أعمق يتبين من خلال ماأورده ابن الجوزي من صفات للمرأة حيث قال أنها طويلة ذات((أنف أفطس أي أن قصبة الأنف تكون منخفضة)) ، وطويلة وذكر هذه الصفات تحيلنا الى شيء وكأن المرأة فيها نقص في الجمال وحين يصبح النقص عقدة نفسية تتحول هذه العقدة إلى عقدة إبداعية تجعل من هذه المرأة التي ينظر إليها على أنها قبيحة تتحول إلى فيسلوفة تتحدث في القضايا إلى تخص الجنس والدين وحتى السياسة لتعويض نقصها حيث تحاول أن تلفت أنظار الرجل إلى جمالها الداخلي المعنوي وإلى طبيعة قلبها وأصالة روحها فالمرأة التي تفتقر الجمال الشكلي نجدها على الأغلب دائماً وهي تتحدث عن الجمال الداخلي فهي تحاول أن تثبت للجميع بأنها جميلة من الداخل تحاول أظهاره عن طريق إظهار مناقبها وجوهرها حيث تعتقد أنه لايقدر بأي ثمن وتتجه إلى الجوهر الداخلي معتبرة إياه بأنه هو الأساس للمرأة وتحاول أن تضيق بالرجل ضرعاً الذي لا ينظر إلى المرأة إلا من خلال شكلها الخارجي فهي تتهم الرجل بقصر النظر لأنه يجهل جمالها الداخلي ، فقد حاولت التخلص من تلك النظرة الدونية السائدة في المجتمعات وهو الالتفاف حول المرأة الجميلة والابتعاد عن المرأة التي توصف على أنها قبيحة أو دميمة وفي هذا النص يطرح قضية تمثل نسقاً اجتماعياً سائد من العصور القديمة وحتى عصرنا الراهن تلك النظرة الأزلية التي تسيطر على المجتمع الثقافي الذكوري.

وفي الأطار نفسه و في أثناء حديثنا عن الجمال نجد في هذه الصفحات الفرصة المناسبة للحديث عن جمال الجواري في العصر العباسي على اعتبار هذا العصر من اكثر العصور شهد انتشار ظاهرة الجواري والغلمان.فقد دخلن إلى حياة المجتمع العباسي وأثرن فيه إلى حد بعيدفقد وجدنا أن ما كان يحدث قد قلّب كل الموازين وغير العلاقات بين الجواري وساداتهن حيث أرتبطت أخبارهن بقصور الخلفاء والوزراء، فقد كان شأنهن شأن الرقيق يجلبن من سبايا الحروب ومن ثم يبعن في الأسواق ، فتأتي قصور الخلفاء في المقدمة من حيث احتوائها على أكبر عدد من الجواري وقد أدى ذلك إلى أن أصبح أمهات جميع خلفاء القرن السادس الهجري /الثاني عشر الميلادي، أمهات أولاد، ثم تأتي بعدها قصور الأمراء والوزراء والقواد (الاصفهاني، د.ت:ص 113) (Al-Isfahani, d.t., p. 113). فقد راجت سوق الجواري في بغداد وتفنن النخاسون في تعليمهن الشعر والغناء وتأديبهن ، لأنهم وجدوا فيهن تجارة مربحة ولأن بعض الناس يشترون الظريفات المتأدبت فقد أحسنت الجواري أساليب المطارحة الشعرية والمنادمة وسبل المجالسة والمسامرة ، وتطارح الرجال من الشعراء منهن الشعر.فلم تعد الجارية جسداً يتخذه الإنسان للتمتع فقط أو صوتاً يركن إلى سماعه لتخلص من مشاغل الحياة، ولم تقتصر جواري البلاط على تحريك المروحة فوق رأس الملك ، أو مجرد آلة يحركها كيفما شاء ومنى شاء، فقد مضى ذلك العصر وولّى ليخلفه عصر لا نبالغ إذا قلنا إنه أصبح قائماً على الجواري حيث أصبحن يجلسن للناس، ويناظرن العلماء

ويطارحن الشعراء في النظم ويخرجن إلى الأسواق ويختلفن في الحوائج ووالجاحظ يعرض علينا صورة من نشاطهن حيث قال:((ثم لم يزل للملوك والأشراف إماء يختلفن في الحوائج.ويدخلن في الدووابن، ونساء يجلسن للناس، ...)) (الجاحظ، د. ت:ص 156) (Al-Jahiz, D. T., p. 156)، فقد أدى انتشار الجواري في قصور الخلفاء إلى أتخاذ هؤلاء أمهات الأولاد إلى جانب زوجاتهم من الحرائر، وكانوا لايترددون في استعمال نفوذهم في الحصول على مايروق لهم من الجواري بدعوى الزواج، ليصلوا إلى أغراضهم، ويشبعوا غرائزهم الجنسية ، متسترين بعقد النكاح الشرعي ، فقد أوردت المصادر عدداً من القصص ذات الطابع المأساوي تبين للقارئ ظلم خلفاء بني العباس وجبروتهم، والكشف عن وجوههم القبيحة في شخصياتهم فهذه هي سبل خلفاء بني العباس جميعاً منذ عهد المهدي ، تتفاوت شهواتهم وضعفهم أمام سحرهن(غيوة ، د.ت: ص98) (Ghiwa, D.T., p. 98).

ومما يورده ابن الجوزي وأخبرنا ابن ناصر قال:(قال أيوب الوزَّان: قال المفضَّل : دخلتُ على الرشيد وبين يديه طبق وَرْدٍ وعنده جاريةٌ مليحة شاعرة أَدبية ، قد أُهْدِيت إِليه ؛فقال يا مفضّل قُل في هذا الورد شيئاً تشبّهه به ؛ فأَنشدتُ أَقول:

كأَنّهُ خدُّ مَرْمُوقٍ يُقَبّلُهُ فَمُ الحَبِيبِ وَقَدْ أَبْدَى بِهِ خَجَلا

(بحر البسيط)

فقالت الجارية :

كَأَنَّه لَونُ خَدّي حِينَ يَدْفَعُنِي كَفُ الرَّشِيدِ لِأَمْرٍ يُوجِبُ الغُسْلَا

(بحر البسيط)

فقال يا مفضَّل قُمْ فأخرج ، ... فقمتُ وأُرخيت الستور دوني)) (القريشي ، مصدر سابق: 276) (التلمساني ، د.ت:ص 218) (Al-Tilmisani, D.T., p. 218).

إن للجواري تأثير على كل الرجال، على اختلاف طبقاتهم سواء كانوا من الناس العاديين، أو من الأمراء، ولان الرجل اياً كانت مكانته كان يقع في فخ المرأة/الجارية، ويورد أبن الجوزي خبر الجارية التي دخلت على الرشيد .. وهذا الجمال والحسن هو الذي جعل الرشيد يهيم بها ، ثم عاد ليتحدث عنها بوصفها تحت مسمى الجارية ولا ننسى أن ((للجارية قوانين خاصة في التعامل على وفق الثقافة العربية حيث تربى على وفق تربية خاصة حتى يرتفع سعرها على فكرة التأثير في الرجال حتى تسحرهم بأناقتها وبوقفتها ورقة حركاتها وترتفع قيمتها حين تجمع بين الجمال والذكاء والعلم إضافة إلى مقياس الحب والهوى)) (الأدريسي، د.ت: ص101) (Al-Idrisi, D.T., p. 101)، ولعل اختيار مسمى الجارية هنا جاء لتسويغ صفة الغواية والجمال التي تتمتع به هذه المرأة فقد كانت المنافسة على أشدّها بين الحرائر والإماء فق حرص المقينون على إعداد الجواري أحسن إعدادونجم ذلك عن وعي الجارية بذلك بأن الجسد المعتنى به يمكن صاحبته من احتلال موقع اجتماعي مهم في صلب المجتمع الذكوري ولتسويغ أخر يعد ضمني

لضعف الرجال ذوي الجاه والسلطة أمام هذه الجارية، لانهم كانوا عبدة لرغباتهم وهذا يدل على ضعف الدين هنا في هذا النص ولاسيما الرشيد في هذا الخبر، لكن في هذا الأطار يتسنى لنا بطرح سؤال يعد قضية شائكة منذ القدم هل كانت الجارية مقتنعة بالوضع المحتم عليها نجد أن الأجابة واضحة من خلال الأخبار التي وردت في الكتب التي وضحت أنكباب الجواري على تعلم شتى العلوم ولعل أهم سلاح ملكته الجواري واستخدمنه في معركتهن من أجل التحرر والخروج من إطار الرق القديم ، هو ثقافتهن، لأنهن بدونها ما كن ليصلن إلى ما وصلنَّ إليه في العصر العباسي على الرغم من تسليمنا بأهمية جمالهن وطرقهن في الإغراء من جهة والبيئة الملائمة لسيطرتهن من جهة أخرى(الأدريسي ،د.ت:ص 102) (Al–Idrisi, D.T., p.102).

وقد رُويت لنا حكاية أوردها ابن الجوزي في أخبار الأذكياء((أنبأنا هبة الله بن الحصين ، قال: سمعت الجاحظ:رأَيت جاريةً بسوق النَّخَّاسين ببغداد يُنادى عليها، وعلى خَدّها خَالٌ ، فدنوت منها وجعلت أُقلبها ، فقلت لها : ما أسمك ؟ قالت: مكة فقلت : الله أكبر قَرُب الحجّ أَتأْذنين أَقبل الحجر الأَسود قالت له :إليك عني ، أَو لم تسمع قول الله تعالى: ﴿ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ﴾ سورة النحل /الآية 7))(القريشي ، 2003:ص 281) (Al–Qurayshi, 2003, p. 281). ذكرنا سابقاً كيف برعت عدد من الجواري بفنون شتى من معارف عصرهن، فبالإضافة إلى معرفتهن باللغة والأخبار والحكم كان البعض منهن على دراسة كبيرة بالقرآن والحديث(فتح الله ، د.ت ،ص:93) (Fath Allah, D.T., p. 93) والطب وغير ذلك من علوم العصر.وزاد من ثقافتهن أن النخاسين عملوا على تعليمهن لارتفاع أثمان المتعلمات(امين، 1933، ص:54) (Amin, 1933, p. 54)، وهذا النص يعكس ثقافة الجواري في هذا العصر وخاصة الثقافة الدينية، وفي مؤلفات الجاحظ نلاحظ قدم الجاحظ اهتماماً كبيراً لثقافة الجواري، مظهراً قدراً كبيراً من التقدير لمواهبهن الفكرية ، لكون ذلك يتجاوب مع موقفه من الجواري بشكل خاص والنساء بشكل عام. وفي هذا الإطار قدمت نماذج تبين قدرة الجواري على استيعاب كثير من المعارف المختلفة أياً كان طبيعتها ومستواها وهذا الخبر يحمل في طياته عدداً من الدلالات المضمرة ومعاني واضحة، فالجارية تبقى إنسان ذو ملكات، متى ما توافر لها المناخ المناسب أبدعت ، فمتى ما فتحت الثقافة أبوابها لها طرقتها وموقف الجاحظ من الجارية هو بيان قدرتها في ميادين العلم والمعرفة فهذه المواهب الفنية والمعارف العلمية، التي اتسمت بها بعض الجواري هس وسيلة جعلنها في أيديهن للتخلص من العبودية وخطوة نحو نور الحرية، والتخلص من قيود العبودية ، التي كن يعانين منها ولم يكن يتم ذلك للجواري المثقفات والموهوبات، إلا بعد مدة يمضينها في إطار الرقيق المألوف، يقطعن خلالها عدة مراحل في عملية التطور، التي يتعرض لها وضعهن، وقد تقابلهن خلال ذلك عقبات ومتاعب، لا يجتزنها إلا بالصبر والحيلة تارة وبوسائل الإغراء وإثارة الإعجاب تارة أخرى ولعل ذلك يتجلى في الخبر الذي نقله ابن الجوزي.

درج العرب على تزويج بناتهم وهن حديثات السنّ وكان المسلمون كغيرهم من الأمم يرغبون في التزوّج من الأبكار الصغار، مستدلين على ذلك بزواج الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من عائشة التي دخل عليها ، وهي بنت التسع سنوات، وعلى أحاديث تشجع الناس الزواج من الصغار(امين، 1933: ص313) (Amin, 1933, p. 313)، وإنّ ما يسترعي الانتباه في الروايات التي وصلتنا أن المجتمع عدَّ زواج البنت بمثابة تعجيل لمصلحة وحماية لها من الفساد ولا مراء أنّ التعجيل بزواج البنت محكوم بجملة من العوامل، منها ما له صلة بخصوصية المجتمع الزراعي، وتأثير المناخ في نموّ البنت الذي يجعلها تبدو للعيان في صورة مكتملة، ومنا ما يتعلق بالظروف الاقتصادية التي تجعل الأهل في حاجة إلى الافادة من المهر والصداق(امين، 1933: ص313) (Amin, 1933, p. 313).

وما يورده ابن الجوزي أنبأنا محمد بن أبي طاهرقال: ((حدّثني رجل من تغلب يدعى: زيد بن عمرو، قال : كان فينا رجلُ له ابنةٌ شابّة ، وكان له ابن أَخ يهواها وتهواه ، فمكثا على ذلك دهراً ثم إنّ الجارية خطبها بعضُ الأَشراف ، فأَرغب في المهر ، فأَنعم أَبو الجارية ، واجتمع القوم للخِطْبة، فقالت الجارية لأُمها: يا أُمّاه ما يمنعُ أَبي أَن يزوّجني من ابن عمي ؟ قالت: أَمراً كان مُقْضياً قالت:واللهِ ما أَحسَبُه ربَّاه صغيراً ثم يَدَعه كبيراً ؛ثم قالت لها :يا أَماه إني والله حاملٌ فاكتمي إن شئت أو بوحي؛فأَرسلت الأُمُّ إلى الأب فأَخبرته الخبر ، فقال: اكتمي هذا الأَمر ؛ثم خرج إلى القوم ، فقال: ياهؤلاء إِني كنت أَجبتكُم وإنه قد حدث أَمرٌ رجوتُ أَن يكون فيه الأَجر، وأَنا أَشهدكم أَني قد زوجت ابنتي فلانة من ابن أَخي فلان؛فلما انقضى ذلك، قال الشيخ أَدخلوها عليه؛ فقالت الجارية هي بالرحمن كافرةٌ إِن دخل عليها من سنة، أَو تبيّن حملها. قال: فما دخل عليها إلاَّ بعد حولٍ ، فعلم أهلها أَنها احتالت على أبيها)) (القريشي، 2003:ص 284) (Al-Qurayshi, 2003, p. 284).

ولئن كان الانقياد للآمرين والناهين والإذعان لسلطتهم مطلوباً في الفرد، فإنّ درجات الطاعة تختلف من إنسان إلى آخر وحسب الجنس أما الفتاة فإنها لاتنفك عن الإصغاء إلى خطاب يأمرها بالخضوع لكلّ سلطة مهما كان مصدرها ، ويحذّرها من عصيان الزوج فيما يأمرها به من لزوم البيت، فلا عجب أن تزدهر ثقافة الطاعة والتقليد، وأن تضطلع المنظومة الفقهية بدور مهم في جعل المرأة مذعنة لأوامر المجتمع الذكوري.وهي ظاهرة معروفة في ثقافات عديدة وديانات كثيرة كانت المرأة فيها خاضعة لسلطة الرجل والمجتمع مثل الثقافة الرومانية والهندية والصينية ونحو اليهودية والمسيحية والهندوسية وغيرها من الأديان (الإختلاف في الثقافة:ص260) (Difference in Culture, p. 260) فحديث الفتاة مع والدتها وأجابة الأم لها (أمر كان مقضياً) يشكل نسقاً ثقافياً عرفه الناس فكان عليها الخضوع لأمر والدها وحسن السمع والطاعة، أي يجب أن تخضع المرأة للرجل الذي تمثل في شخصية والدها وأن تسمع كلامه. لذلك يحمد للمرأة السكوت وإِن طال لسانها فهي مريضة يتوجب علاجها لأنها لو تكلمت هذا يعني أنها حضرت وهذا عكس ما يريده المذكر(الغذامي ، 1998، ص: 39-40) (Al-Ghazami, 1998, pp. 39-40)، وهذا دليل على إن الفتاة ذكية وتعلم إن سمعة والدها ستجعله يوافق على زواجها وهي حيلة تؤكد مكرها،

فلكي تجاري ما كان سائداً في المجتمع الثقافي يجب أن تسكت حتى وأن كان الموضوع متعلق بمشاعرها عليها أن لا تخالف كلام الرجل ورأيه وأن لا تتمرد عليه، بل يجب أن تكون مستسلمة منقادة لكل ما يقوله حتى تكسب رضاه وتبقى محافظة على النسق السائد.إن الثقافة تتوسل بوسائل عديدة من أجل فرض شرطها النسقي، أي أن الشخوص الاجتماعية تتحرك بوصفها كائنات ثقافية مسيرة ذهنياً :وكأنما مبرمجة فعلاً حسب المقتضى الثقافي، هذا هو حال الشخوص الاجتماعية التي لا تسمح لها الثقافة إلا أن تؤدي الادار المرسومة لها ثقافياً (الغذامي،1998:ص 81) (Al-Ghazami, 1998, pp.81) فشخصية الأب تمثل هنا فرض اجتماعي أما أجابة الأم إنما هي دور لا بد أ تمارس الأم لكي تبقى خاضعة للنسق الثقافي، ((فالمرأة تبقى حبيسة العادات والتقاليد وقهر الذكر، ولا تمتلك حياتها وقرارها، حتى وإن كانت سيدة فهي في حقيقتها عبدة لقهرالمجتمع)) (صديان، 2022) (Sadian, 2022) فإن حاولت أن تخالف النسق فسوف تنال غضبه فلكي تؤمن غضبه يجب أن تجاري النسق الثقافي كي تنال قبوله لكي لا تتعارض مع سيادة الرجل وتبقى محافظة خاضعة ومنقادة له دائماً هذا هو ما يريده المجتمع وعرفه ، فما يكون للمرأة إلا أن تكون تابعة لكل مايريده المجتمع الثقافي ، فالمرأة عندهم تابعة للرجل.

وفي الباب نفسه أورد ابن الجوزي((حدثنا مسلم بن صبيح الكوفي، قال:سمعت أَبي يقول:خطبَ المُغيرةُ بن شُعْبَة وفتى من العرب امرأةً، وكان الفتى ظريفاً جميلاً، فأرسلتْ إليهما المرأَةُ، فقالت:إنكما قد خَطَبْتُماني، ولستُ أُجيبُ أَحداً منكما دون أَن أَراه وأَسْمَعَ كلامَهُ ، فاحْضُرا إن شئتما؛فحضرَا، فأَجلستُهما بحيث تراهما وتسمع كَلاَمَهُما، فلما رآه المغيرة، ونظر إلى جماله وشبابه وهيئته؛يَئِسَ منها، وعلم أَنها لن تُؤْثِرَهُ عليه، فأَقبل على الفتى، فقال له:لقد أُتيتَ جمالاً وحسناً وبياناً، فهل عندك سوى ذلك؟قال:نعم؛فعدَّد محاسَنَهُ، ثم سَكَتَ.فقال له المغيرةُ:كيف حسابُك؟قال:ما يسقط علّي منه شيء، وإني لأَسْتَدْرِكُ منه أَدقَّ من الخَرْدَلة.فقال له المغيرةُ:لكنّي أَضعُ البذرَةَ في زاوية البيت فينفقُها أَهلي على ما يريدون، فما أعلم بنفَادِها حتى يسأَلوني غيرها.فقالت المرأَةُ : (واللهِ لهذا الشيخ الذي لا يحاسبُني أَحبَّ إليّ من هذا الذي يُحصي عليَّ مثل صغيرِ الخَرْدلْ؛فتزوَّجَتِ المُغيرة)(القريشي،2003: ص61) (Al-Qurayshi, 2003, p. 61). يذكر ابن الجوزي نص للمغيرة بن شعبة عندما أراد التزوج من امرأة وقد تقدم لخطبتها شخص آخر يمتلك من المؤهلات ما تجعله يتقدم على المغيرة لكن بذكائه أستطاع أن يستميل المرأة إلى جانبه ويجعلها تقتنع به كزوج على الرغم من كل المواصفات الجيدة التي يتحلى بها ذلك الشاب.ذكاء المغيرة هو النسق الظاهر الذي سجله ابن الجوزي من خلال النص الوارد أمامنا مبيناً فيه أن المرأة اختارت الرجل الذي يتمتع بجمال داخلي واخلاقي وليس جمالاً شكلياً، فأدراك المغيرة للموقف الذي وقع فيه وأستعماله صفة تميزه ضد الشاب الآخر الذي يكاد أن يكون مكتمل الأوصاف أمام تلك المرأة هذا ما ظهر وجمل النص وجعله النسق الأكثر بروزاً فيه، لكن ذكر ابن الجوزي لهكذا نص جاءت حسب الصورة التي رسخت عند المتخيل العربي، من أن المرأة تفضل الجميل على الشخص عير جميل أو قد يكون الشخص العادي، فيصفها أنها ليس لها أي ود لأي رجل عندما يشيب أو يقل ماله، هذه النظرة اخذها الفحل المتسيد الذي

يعتقد بأنه عليه بالنساء وما يفضلنه من الرجال الذين يتمتعون بجمال أصحاب الهيئة الحسنة لكن هذه النظرة لا تصح على جميع النساء فليست جميع النساء تفضل الرجل الجميل.والدليل ما ورد في نهاية هذا النص أنها تزوجت من المغيرة وما أورده ابن الجوزي في نهاية هذا النص خالف النسق وتمرد عليه ويتضح ذلك من قبول المرأة الزواج من ابن المغيرة وتركها للشاب الجميل.فقد تم تصنيف الانوثة وتنميطها بناء على ما تفعله واحدة منهن، ويستشهد بفعلها على انه فعل النساء كلهن (الغذامي، 2005: ص77–79) (Al–Ghazami, 2005, p. 77–79)، فالمتخيل العربي يجب أن يعيد النظر في كثير من الأمور التي اخذها على المرأة وحسبت عليها.فأي عمل تقوم به امرأة ما، هو في العرف الثقافي السائد دليل على جنس النساء عامة، لذلك توحدت الثقافات العالمية كلها قديمها وحديثها في النظر إلى هذا الجنس نظرة دونية(الغذامي، 2005، ص:73) (Al–Ghazami, 2005, p.73)، ويبدو أن للثقافة وسائلها الخاصة في الدفاع عن أنساقها المهيمنة ولا شك أن النسق الفحولي هو أبرز الأنساق الثقافية قوة وهيمنة (الغذامي، 2005 ، ص:73) (Al–Ghazami, 2005, p.73). هذه كانت ابرز الأنساق التي عرفت عن المرأة، أنساق همشت وقللت من شأن المرأة وسعت إلى تحقيرها، فقد كانت المرأة ممتهنة في ثقافة المجتمع الذكوري، تلك الثقافة التي لابد من أن يعاد النظر فيها، وأيضاً يعاد النظر في المجتمع الذي لابد أن ينهض وينفض عنه غبار الثقافة الذكورية الفحولية التي مارست الكثير من الأفعال ضد المرأة، فكان لابد من أعادة النظر إلى المرأة فأن لها مثل ما للرجل من الحقوق والواجبات فماذا تريد النسوية؟((سوى المساواة في الحقوق والفرص؛وإنهاء الحماقة الذكورية ، وإظهار ثقافة المرأة وفقاً لشروطها)) (الغذامي، 2005:ص 77–79) (Al–Ghazami, 2005, p. 77–79)، سواء كانت أماً، زوجة، بنتاً أختاً، ولكونها تمثل القسم الثاني من المجتمع الذي لايقوم إلا بوجودها إلى جانب الرجل، ولا ننسى أنها أسهمت في النتاج الثقافي وشاركت في مجالات شتى حتى أنها تبوأت مكانة عظيمة.

فيجب أن يعاد النظر للمرأة وأن يسمع صدى صوتها في المجتمع الفحولي الذي أخرسها وهو يقر((المرأة تنظر إليها لا لكي تسمعها)) (ديورنغ، 2015:ص 287) (During, 2015, p. 287)، فعلى الثقافات الذكورية تقر بإن المرأة كائن مستقل وليس مجرد جسد لديهم يشبع رغباتهم فقط، لا حق لها في ابداء الرأي.لكن الثقافة تنهض دائماً بوصفها سيادة معنوية قيمية للدفاع عن سيادتها، فتضرب أي محاولة معارضة أو حالة خروج عن طاعة القيم الثقافية السائدة والمتسيدة في المجتمع(الغذامي،المصدر السابق: 88) (Al–Ghazami, 2005, p.88) ، فتحاول الثقافة الرجوع إلى المعتقدات والأفكار القديمة من جديد لتبقى محافظة على هذا النسق الثقافي.

الخاتمة:

أن النقد الثقافي بوصفه نشاطاً ثقافياً يسعى إلى حلحلة ما هو مركزي لكي يتساوى الهامش معه، فيهدف إلى تعرية خطاب الثقافة المؤسساتية وكشف عيوبها وإعادة الاعتبار للثقافة الشعبية المهمشة، إذ يعمل النقد الثقافي بإضاءة النصوص التي تم تهميشها عن عمد، ويكشف الظلم الذي يقع على المهمشين، ويدعو إلى

المساواة بين الأغنياء والفقراء، وينبذ التمييز العنصري القائم على العنصرية والأعراق والاثنيات، ويهدف إلى كشف الأنساق الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية، والدينية، والأخلاقية ويجعلها قادرة أن تعبر عن ذواتها بحرية، وهذا يجعلنا نتوصل إلى نتيجة وهي غاية النقد الثقافي هي البحث عن الانساق الموجودة في النص وليس النص.

المصادر

القرآن الكريم

1. ابن الجوزي، العلامة الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ، 1986م، الطب الروحاني، تحقيق: أبو هاجرمحمد السعيد، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، الباب السابع والعشرون في رياضة الزوجة ومداراتها.
2. الأدريسي، وفاء، 2018، الجواري والغلمان في الثقافة الاسلامية مقاربة جندرية، ط1، الرباط .
3. الاصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد، 1900م، تاريخ ال سلجوق، اختصار الشيخ الامام العالم الفتح بن علي بن محمد بن بندار الاصفهاني، مطبعة الموسوعات، مصر.
4. أمين، احمد، 1933م، ضحى الأسلام، ط1، الجزء الأول، مطبعة الاعتماد .
5. بن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد، 1971م، أخبار الأذكياء الباب الخامس في سياق المنقول من ذلك عن الأنبياء مما يدل على قوة الفطنة، تحفة المورود بأحكام المولود، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط1، مكتبة دار البيان، دمشق.
6. التلمساني، لأبن أبي حجلة شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت776هـ)، سكردان السلطان، تحقيق الدكتور: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة .
7. الجاحظ، أبو عثمان بن بحر، د.ت، رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، الجزء الثاني، مكتبة الجاحظ، مكتبة الخانجي بالقاهرة، مطبعة السنة المحمدية.
8. جبل، نذيرة خير الله، 2023م، المرآة في المجتمع العباسي بين المكانة الاجتماعية والمكانة الحقيقية (دلالتها في شعر المتنبي)، قسم اللغة العربية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، مجلة جامعة دهوك، المجلد 26، العدد1، 6 آذار.
9. الحيدري، إبراهيم، 2003م، النظام الأبوي وإشكالية الجنس عند العرب، ط1، دار الساقي.
10. خضير، سلافة صائب، 2018م، الأنساق الثقافية في كتاب آمال المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد)، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية، مجلة الأستاذ، المجلد1، العدد6.
11. الخليل ،سمير، فضاءات النقد الثقافي من النص إلى الخطاب،ط3.
12. الخواجا، ميساء، 2019م، الأنساق الثقافية وصورة المرأة في كتاب أخبار النساء، البليدة، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، المجلد6، العدد3، 13 كانون الأول .

13. ديورنغ، سايمون، 2015م، الدراسات الثقافية: مقدمة نقدية، ترجمة: ممدوح يوسف عمران، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت.
14. رويدي، عدلان، 2014م، الرواية وحوار الأنساق: قراءة في رواية كريماتوريوم سوناتا لأشباح القدس لواسسني الاعرج، ،مجلة المخبر، العدد10.
15. صديان، حنين جاسم محمد، 2022م، الأنساق الثقافية في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه، رسالة ماجستير/ جامعة الأنبار ، كلية التربية .
16. عبدالباقي، أحمد ونهلة أحمد، 2010م، دور المرأة في الدولة العباسية (132ــ656هـ/750ــ1285م): دراسة تاريخية تحليلية، رسالة ماجستير الآداب في التاريخ، تاريخ إسلامي وسيط، جامعة آل البيت الأردن.
17. العزايزة، وجدان حسن، 2004م، المرأة في العصر العباسي(447ه-0656هـ/1055م-1258م)، جامعة اليرموك الأردن.
18. الغذامي، عبد الله محمد، 1998م، ثقافة الوهم ((مقاربات حول المرأة والجسد واللغة))، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت.
19. الغذامي، عبد الله محمد ، 2005م، تأنيث القصيدة والقارئ المختلف، ط5، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان.
20. غيوة، يوسف، المرأة الجارية ودورها الاجتماعي والثقافي في المجتمع العربي الإسلامي من خلال كتابات الجاحظ .
21. فتح الله، العلامة الفاضل حمزة، 2017م، باكورة الكلام على حقوق المساء في الإسلام، ط1، كشيدة للنشر والتوزيع، سلسلة تراث الأزهريين.
22. القاضي، العلامة الإمام الفقيه أبي الحسن علي بن محمد، 2013، أدب الّدين والدنيا، ط1، دار المنهاج.
23. قرامي، آمال 2017م، مساءلة الجسد الأنثوي في التفكير الإسلامي، 4 فبراير، https://alantologia.com/
24. قرامي، آمال، 2007، الإختلاف في الثقافات العربية دراسة جندرية، ط1، دار المدار.
25. القلقشندي، أبي العباس أحمد، 1933، صبحى الأعشى، الجزء الثاني، مطبعة الاميرية، القاهرة.
كاظم، فاطمة عبد العظيم، 2019، الأنساق الثقافية في مجالس خلفاء العصر العباسي الأول، كلية التربية ابن رشد لعلوم الإنسانية، مجلة الأستاذ، العدد6 .
26. لازم، م.د. آلاء محمد، 2012م، الأنساق الضدية في شعر تأبط شراً، مجلة العميد، المجلد 2 ، العدد4،3.

Sources

1. Ibn al-Jawzi, the scholar, al-Hafiz Jamal al-Din Abi al-Faraj Abd al-Rahman (d. 597 AH), 1986 AD, Spiritual Medicine, edited by: Abu Hajar Muhammad al-Saeed, 1st edition, Library of Religious Culture, Chapter Twenty-Seven on the Wife's Sport and Its Orientations.
2. Al-Adrisi, Wafa, 2018, Female slaves and boys in Islamic culture, a gender approach, 1st edition, Rabat.
3. Al-Isfahani, Imad al-Din Muhammad bin Muhammad bin Hamid, 1900 AD, History of the Seljuks, Summary of Sheikh Imam Al-Fath bin Ali bin Muhammad bin Bandar Al-Isfahani, Encyclopedia Press, Egypt.
4. Amin, Ahmed, 1933 AD, Duha Al-Islam, 1st edition, Part One, Al-Etimad Press.
5. Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Shams al-Din Abi Abdullah Muhammad, (619-751 AH), 1971 AD, News of the Intellectuals, Chapter Five in the context of what is transmitted from that from the Prophets, which indicates the power of acumen, Tuhfat al-Murud bi Ahkam al-Mawlid, edited by: Abdul Qadir al-Arna'ut, 1st edition. Dar Al Bayan Library, Damascus.
6. Al-Tilmisani, by Ibn Abi Hajla Shihab al-Din Ahmad bin Yahya (d. 776 AH), Sakridan al-Sultan, edited by Dr. Ali Muhammad Omar, Al-Khanji Library, Cairo.
7. Al-Jahiz, Abu Othman bin Bahr, d.d., Letters of Al-Jahiz, edited by Abdul Salam Haroun, Part Two, Al-Jahiz Library, Al-Khanji Library in Cairo, Sunnah Muhammadiyah Press.
8. Jabal, Nazira Khairallah, 2023 AD, The Woman in Abbasid Society Between Social Status and Real Status (Its Meaning in Al-Mutanabbi's Poetry), Department of Arabic Language, College of Education for Human Sciences, Journal of the University of Dohuk, Volume 26, Issue 1, March 6.
9. Al-Haidari, Ibrahim, 2003, The Patriarchal System and the Problem of Sex among the Arabs, 1st edition, Dar Al-Saqi.
10. Khudair, Prof. Dr. Sulafa Saeb, 2018 AD, Cultural Patterns in the Book of Amal Al-Murtada (The Gharar of Benefits and the Pearls of Necklaces), University of Baghdad, College of Education Ibn Rushd for Human Sciences, Al-Ustad Magazine, Volume 1, Issue 6.
11. Al-Khalil Dr. Samir, Spaces of Cultural Criticism from Text to Discourse, third edition.
12. Al-Khawaja, Maysaa, 2019 AD, Cultural Patterns and the Image of Women in the Book of Women's News, Blida, University of Algiers, Faculty of Arts and Languages, Volume 6, Issue 3, December 13.
13. During, Simon, 2015, Cultural Studies: A Critical Introduction, translated by: Mamdouh Youssef Omran, National Council for Culture, Arts and Literature, Kuwait.
14. Ruwaidi, Adlan, 2014 AD, The Novel and the Dialogue of Patterns: A Reading of the Novel Crematorium Sonata for the Ghosts of Jerusalem by Wassni Al-Araj, Al-Mukhbar Magazine, Issue 10.

15. Sadyan, Haneen Jassim Muhammad, 2022 AD, Cultural Patterns in the Book of the Unique Contract by Ibn Abd Rabbuh, Master's Thesis/University of Anbar, College of Education.
16. Abdel Baqi, Ahmed and Nahla Ahmed, 2010 AD, The Role of Women in the Abbasid State (132-656 AH / 750-1285 AD): An Analytical Historical Study, Master of Arts Thesis in History, Intermediate Islamic History, Al al-Bayt University, Jordan.
17. Al-Azayza, Wijdan Hassan, 2004 AD, Women in the Abbasid Era (447 AH-0656 AH/1055 AD-1258 AD), Yarmouk University, Jordan.
18. Al-Ghazami, Dr. Abdullah Muhammad, 1998, The Culture of Illusion ((Approaches to Women, the Body, and Language)), 1st edition, Arab Cultural Center, Casablanca, Beirut.
19. Al-Ghadhami, Dr. Abdullah, 2005, The Feminization of the Poem and the Different Reader, 5th edition, Arab Cultural Center, Beirut - Lebanon.
20. Ghiwa, Youssef, the slave woman and her social and cultural role in Arab Islamic society through the writings of Al-Jahiz.
21. Fathallah, the eminent scholar Hamza, 2017 AD, The Beginning of Discourse on Evening Rights in Islam, 1st edition, Kashida Publishing and Distribution, Al-Azhari Heritage Series.
22. Al-Qadi, the scholar and imam jurist Abi Al-Hasan Ali bin Muhammad, 2013, Adab Al-Din and the World, 1st edition, Dar Al-Minhaj.
23. Qarami, Amal 2017, Questioning the Female Body in Islamic Thought, February 4, https://alantologia.com/
24. Qarami, Amal, 2007, Difference in Arab Cultures, a Gender Study, 1st edition, Dar Al-Madar.
25. Al-Qalqashandi, Abu Abbas Ahmad, 1933, Sobhi Al-A'sha, Part Two, Al-Amiriya Press, Cairo.
26. Kazem, Fatima Abdel Azim, 2019, Cultural Patterns in the Councils of the Caliphs of the First Abbasid Era, Ibn Rushd College of Education for Human Sciences, Al-Ustad Magazine, Issue 6.
27. Lazem, M.D. Alaa Muhammad, 2012 AD, Antithetical Patterns in the Poetry of Ta'abat Shara, Al-Ameed Magazine, Volume 2, Issue 3,4.